منظر عام لسراي حاصبيا

تاريخ هذه القلعة مشوب بالغموض: فهو يبدأ مع الصليبيين، ولكنه قد يعود الى زمن أبعد، كأن تكون القلعة حصناً بناه العرب أو مبنى للرومان. وعندما انتصر الشهابيون على الصليبيين ١١٧٠ واستولوا على القلعة، أعادوا بناءها. ومنذ تلك الفترة، تعرّضت للعديد من الحرائق، وغالباً ما شهدت صراعات دامية وتساقطت القذائف عليها، منذ فترة قصيرة، أثناء الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان (١٩٧٨–٢٠٠٠).

وما يثير الدهشة أنه منذ وقوع هذه القلعة في أيدي الشهابيين، شغلها أعضاء هذه الأسرة دون غيرهم طوال السنين. وتتوزع ملكيتها حاليا بين ما يوازي خمسين عائلة ولا يسكنها سوى قسم ضئيل منهم. وقد جرت عدة محاولات لترميم القلعة التي نال منها الزمن إلا أن الظروف حالت دون تحقيق هذا الأمر، وهي اليوم إحدى برامج الحملة الوطنية للحفاظ عليها وإعادة ترميمها. وعلى الرغم من أن القلعة ملكية خاصة فقد أدرجتها الهيئة العامة اللبنانية للآثار المسؤولة عن ترميمها على قائمة الأماكن التاريخية.

حاصبيا

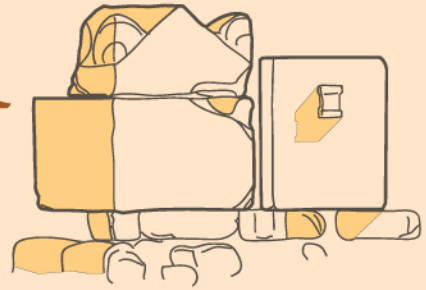

قلعة حاصبيا

الشهابية ووادي التيم

وادي التيم وادٍ خصب طويل ينسدل متوازيا مع السفح الغربي لجبل حرمون. يغذي نهر حاصبيا هضاب الوادي المنخفضة المكسوة بصفوف من أشجار الزيتون الأخضر المموج باللون الفضي وهو المورد الأهم لسكان المنطقة. يُعنى القرويون بتربية النحل وزراعة العنب والتين والصبار وفواكه أخرى.

يبلغ ارتفاع جبل حرمون ٢٧٤٥ متراً، ويحمل هذا الجبل معالم دينية كبيرة تعود للكنعانيين والفينيقيين الذين كانوا يعتقدون أنه كرسي الرب. أما الرومان فكانوا يعتبرونه موقعاً مقدساً، لذلك شيدوا على منحدراته العديد من المعابد. ويُشار إليه في العهد القديم ببعل حرمون في حين يُعتبر هذا الجبل في العهد الجديد الموقع الذي حصل فيه التجلي.

الموقع التاريخي

حاصبيا، عاصمة وادي التيم، بلدة جميلة يزخر تاريخها بالأحداث التي وقعت معظمها في القلعة الضخمة، هذه القلعة التي أعطت للمنطقة شهرتها، وهي ملك للأمراء الشهابيين، وتشكّل الجزء الرئيسي من المجمّع الشهابي الذي يضم مجموعة من المباني المحيطة بساحة مركزية يبلغ طولها ١٥٠ متراً وعرضها ١٠٠ متر. وتشكل بيوت من القرون الوسطى ومسجد القسم المتبقي من المجمّع الذي يغطي مساحة ٢٠ ألف متر مربع. وتقع القلعة على هضبة تطل على نهر يحيط بها شمالاً.

زيارة القلعة

يتألف المبنى من ثلاثة أدوار فوق الأرض وثلاثة تحت الأرض. وبما أنها شُيّدت على مراحل وتعرّضت لأضرار كثيرة ومن ثمّ أعيد تشييدها، فإن هذه البنية المنبسطة باتت تضم مزيجاً من فنون الهندسة والتقنيات المعمارية وطرق الترميم.

من السهل تحديد الفن المعماري الصليبي الذي ينتمي إليه البرج الكامن في الزاوية الجنوبية الغربية والجدار الشرقي اللذين يمكن رؤيتهما من الدور الثالث. وتعود بعض التفاصيل الأخرى الى القرون الوسطى، منها النوافذ المشقوقة لرمي السهام والكوّات المخصصة لإطلاق الزيت الحارّ أو القذائف على العدو. وعلى الرغم من وظيفتها الأساسية كحصن، إلا أن هذه القلعة تحتوي على العديد من التفاصيل الجذابة كالعواميد النحيلة والنوافذ المقنطرة.

المدخل والفناء الأول

درجات عريضة تقود الى المدخل الرئيسي حيث ينفتح بسهولة باب بمفاصل يعود الى العهد الصليبي ويتيح الممر البالغ عرضه أربعة أمتار وارتفاعه ثلاثة أمتار مرور الفرسان الداخلين الى القلعة دون الحاجة للترجل عن جيادهم.

تزيّن أسود حجرية تمثل شعار نبالة العائلة الشهابية الجدران المحاذية للبوابة المقنطرة: أسدان ضخمان مقيدان بسلاسل على مقربة من أرنب ضعيف غير مقيد. وتظهر مجموعة من الأسود الصغيرة داخل القوس فوق المدخل، وتوجد تحتها مباشرة لوحة منقوشة باللغة العربية عُلّقت بمناسبة بناء الأمير علي شهاب جناح جديد سنة ١٠٠٩.

وما أن يعبر الزائر المدخل حتى يصبح في فناء كبير معبّد تحيط به جدران تبلغ سماكتها متراً ونصف المتر. بالإضافة

شرفة الطابق الأول

الى الجدران والشرفات القديمة والسلالم فإن الفناء له أربع مميزات هي: منظر محدود للأبراج، ومدخلان مقنطران هامان، وجناح شغله في أحد الأيام والي مصر إبراهيم باشا.

وتقوم في إحدى الزوايا اليمين بوابة الدخول الرئيسية التي تؤمن الإطلالة الوحيدة على الأبراج. ومن الممكن النظر عبر شقّ في الجدار الى الغرفة السفلية التي كان يحتمي فيها قائد الحصن.

وكان بإمكانه عند اللزوم الفرار من هذا المكان عبر نفقين خاصين يقود أحدهما الى نهر أبو دجاج شمال الحصن والثاني الى المسجد.

وبعد أن أغلقت الهيئة العامة اللبنانية للآثار الطبقات الثلاث تحت الأرضية، احتفظت القلعة

الباب الرئيسي

بتاريخها الغامض الخاص بها. ففيها دفن الصليبيون أمواتهم وفي أبراجها حجزوا أسرارهم. واستُخدمت الطبقات السفلية، عندما كانت القلعة في أوجها، لتخزين المياه ومؤونات أخرى ولإيواء الحيوانات.

وفي الطرف البعيد من الفناء فتحة مقوسة عريضة داخل جدار من الحجر الأسود والأبيض.

كانت هذه الفتحة هي المدخل للديوان أو صالون الست شمس زوجة بشير الشهابي الثاني حاكم جبل لبنان بين ١٧٨٨ و١٨٤٠. والى يسار الديوان، بُني الجناح الذي شغله إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر خلال الحملة التي شنّها ضد العثمانيين سنة ١٨٣٨. أما المدخل العلوي الآخر، فقد شُقّ في جدار من الحجر الأصفر والأبيض يوصل الى كنيسة صليبية تهدّمت منذ فترة طويلة.

أما الغرف المحيطة بالفناء السفلي، بما فيها الإسطبلات، فتستخدم اليوم كمخازن.

الدور الثاني

تقود سلالم الى الدور الثاني والى فناء تتوسطه بركة صغيرة مبلّطة. وبعيداً عن الفناء، تجذب غرفة جميلة الأنظار بجدرانها المزيّنة بالنقوش الناعمة. ولا يزال بالإمكان التعرّف

باحة الطابق الثاني

على زهرة الزنبق والنجم والنقوش المحيطة بقنطرة في الفناء. ويحتوي هذا الدور كما الدور الثالث على شقق للعائلات التي لا تزال تعيش في هذا المبنى.

الدور الثالث

يحتوي الدور الثالث الذي أشاده الشهابيون في القرن التاسع عشر على فناء وبركة. زيّن أعلى المدخل بأقواس تدعيمية تنتمي الى الطراز المعماري المملوكي أو العثماني ويظهر تحتها ختم شُيّد بالأجنحة التي بناها الأمير محمد. ويلاحظ على أحد الجدران نحتاً أنيقا نقل بعضه من الأدوار السفلية. ويعتقد أن بناء عمودين مجوفين من الرخام الإيطالي هو أسلوب احتيالي يرمي الى كشف صوت اقتراب الفرسان المعادية.

ومن هذا الدور يمكن دخول البرج الصليبي، كما يستطيع أصحاب القلوب الجريئة تسلق السلالم اللولبية

سوق الخان

الضيقة. ومن هذا البرج يمكن رؤية البلدة المحيطة بالقلعة بما فيها بعض المباني التابعة للمجمع الشهابي. ويعتبر المسجد أهم هذه المباني ففيه مئذنة تعود الى القرن الثاني عشر مسدّسة الشكل ومزينة بحجارة ملونة. ويقوم جناح حديث الى جانب المسجد القديم.

الشهابيون وحاصبيا ووادي التيم

الشهابيون ينتمون الى قريش، قبيلة النبي محمد، وقد نصّبهم أبو بكر الصديق، أوّل الخلفاء الراشدين، أمراء سنة ٦٣٦م. ومنذ ذلك الوقت توارثوا الأراضي الألقاب أباً عن جدّ. وشارك مالك أحد أسلافهم من قبيلة مخزوم في معركة اليرموك التي احتل العرب على أثرها سوريا. وقاتل الشهابيون حتى النصر في معارك لاحتلال دمشق ضد قوات الإمبراطورية البيزنطية سنة ٦٣٣م.

بقيت هذه العشيرة في منطقة حوران السورية طوال ٦٠٠ سنة تقريباً أي حتى ١١٧٠. وفي تلك السنة، انتقلوا الى وادي التيم لمحاربة الصليبيين في راشيا مع جيش قوامه ٢٠ ألف شخص وعلى رأسه الأمير منقذ الشهابي. وتكللت الحملة بالنجاح، فقد دحروا الصليبيين من راشيا الى قلعتهم في حاصبيا حيث تابع الجيش المحاصر هجومه. وفي غضون عشرة أيام، احتلت القوات الشهابية القصر وأحرزت فوزاً أدخل العائلة الشهابية الى لبنان ووادي التيم.

رمم المنتصرون القلعة التي كانت للصليبيين وأصلحوها وفقاً لمتطلباتهم. واستخدموها طوال السنوات السبعمائة التالية كقاعدة للسيطرة على المنطقة. وفي هذه الأثناء شكلوا حلفاً سياسياً وعسكرياً مع الأمراء المعنيين الدروز الذين كانوا يحكمون جبل لبنان. وانطلاقاً من هذا التحالف الطويل الأمد، تأسس لبنان المستقل والموحّد.

قاتل الشهابيون وقوات الأمير فخر الدين المعني

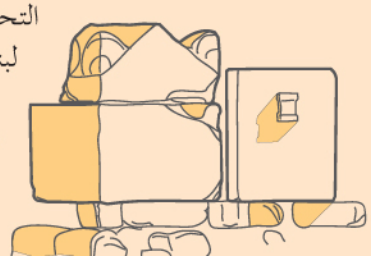

نهر الحاصباني

جنباً الى جنب سنة ١٦٢٣ في معركة عنجر للتغلب على والي دمشق وحلفائه اليمنيين. وبعد مرور عشر سنوات، نُفي العثمانيون الشهابيون الى حلب حيث أمضوا ست سنوات عادوا بعدها الى وادي التيم. وفي سنة ١٦٩٧ بالإضافة الى وادي التيم امتد حكمهم الى جبل لبنان عقب موت آخر الأمراء المعنيين الأمير أحمد، وظلوا متمسّكين بزمام السلطة طوال ١٥٠ سنة الى أن أُبطِلت الإمارة سنة ١٨٤١. ويُعتبر بشير الشهابي الثاني الذي أصبح حاكما سنة ١٧٨٨ أعظم الحكام الشهابيين وهو الذي بنى قصر بيت الدين.

الحياة الاجتماعية

كان سكان البلدة يمضون أوقاتهم في ممارسة أساليب التسلية المتعددة كألعاب الفروسية والصيد المرتبطة بالحياة العسكرية.

في كل يوم جمعة، كانت تقام مسابقات في الفروسية والمثاقفة والرماية في الساحة الكبيرة قرب القصر. وكانت جياد الأمير الرائعة تشارك في العرض بعد تزيينها بالأغطية المزركشة الفخمة وبأشكال تزيينية أخرى.

أما الصيد فكان يجري في المناطق الريفية المحيطة بحاصبيا وخاصة في شويا على سفوح جبل حرمون. وكان لكل صياد صقر أسود خاص به ومرافق يحضّر للصقر طعامه ويوفّر له كل أسباب الراحة. وعند انتهاء الصيد، غالباً ما كان الأمير يدعو المشاركين الى إحدى مقصوراته لتناول الطعام أو الخلود الى الراحة.

محيط حاصبيا

البياضة

تقع خلوات البياضة، وهي المكان المقدس الرئيسي للطائفة الدرزية، في محيط حاصبيا، ويضم حوالي ٤٠ خلوة ويؤمها كل يوم خميس آلاف الدروز يأتون لتلقن التعاليم الروحية. وينبغي للزائر طلب الإذن من الشيخ المقيم في المكان قبل دخوله وزيارته، كما يطلب من النساء ستر الشعر بمنديل.

سوق الخان

تقوم على طرق الهبّارية خان بناه الأمير أبو بكر الشهابي سنة ١٣٥٠ ومرمم حديثاً. ويقال أن علي ابن الأمير فخر الدين المعني قد قتل في هذا المكان. وبالقرب من هذا الخان الذي كان دائم الازدحام في الأيام الغابرة، يقام كل يوم ثلاثاء سوق شعبي مفتوح يُعرف بسوق الخان.

المعبد الروماني في الهبّارية

يُنصح زائرو الهبارية بالبحث عن المعبد الروماني الى يسار الطريق الرئيسي. وقد كان للمعبد في الأصل عمودان يحملان القوصَرة (المثلّث في أعلى واجهة المعبد) ولكن لم يبق منهما اليوم سوى القواعد. ولا تزال بعض الجدران البالغ

المعبد الروماني في الهبارية

ارتفاعها ٨ أمتار موجودة بالإضافة الى عماد أيوني وإفريز الجدار الجنوبي. كما يوجد في الداخل مشكاتان للتماثيل مزيّنتان برسم صدفة مقلوبة. ويعلو المشكات العلوية عبارات تكريسية باللغة الإغريقية.

راشيا الفخار

راشيا الفخار بلدة جميلة تقع على منحدرات جبل حرمون. ونسبة لاسمها، لا تزال تضم معملين للفخار. يُشغّل فرن الفخار خلال فصل الصيف، أما المنتوجات الفخارية فهي متوفرة طيلة أيام السنة. ومن بين التصاميم المتوفرة الدويك بأشكاله الهندسية، وكذلك الإبريق السحري الذي يعبّا بالماء عبر ثقب في أسفله أو فتحة في أعلاه ولكن لا يسكب الماء إلا من الميزاب.

صناعة الفخار

شبعا

شبعا تحتضنها أودية جبل حرمون على ارتفاع ١٤٠٠ متر. وهي من أعلى بلدات لبنان. عذوبة مياهها وينابيعها –

خلوة البياضة

وأهمهم نبع الجوز– غاباتها ومغاورها تؤهلها ان تصبح من أهم مصايف لبنان.

وفي وادي نهر المغاور سبعة مطاحن مائية كان الناس حتى زمن قريب يقصدونها من راشيا، الكفير، عين قنيا... لطحن القمح والحبوب ولعصر الزيتون وجرش البرغل. وقد أعيد مؤخرا تأهيل مطحنة لاشغالها كما في قديم الزمان واصبحت مطحنة أخرى، أوّل متحف مطحنة مياه في الشرق الاوسط.

الفنادق والمطاعم

في إبل السقي قرب حاصبيا فندق جميل بموقعه، وعلى ضفاف نهر حاصبيا مطاعم عدة تقدم أشهر المأكولات اللبنانية، إضافة الى السمك النهري الطازج.

لبنان ـ وزارة السياحة
٥٥٠ شارع مصرف لبنان، ص.ب. ١١/٥٣٤٤، بيروت ـ لبنان
هاتف: ٤/٣/٢/١/٠٩٤٠٣٤٠-١-٠٩٦١ ـ فاكس: ٠٩٦١ ١ ٣٤٠٩٤٥
الخط الساخن: ١٧٣٥
العنوان الكتروني: Web site: www.destinationlebanon.gov.lb
البريد الكتروني: E-Mail: mot@lebanon-tourism.gov.lb
© الحقوقُ مَحفوظةٌ لوزارة السياحة ـ لبنان

يوزع مجاناً

Designed & Printed by Chemaly & Chemaly s.a.l. 2006

لبنان

حاصبيا

لبنان
وزارة السياحة